المحاضرة الخامسة: مصطلح الشعر

تعريف الشعر

الشعر لغة: "شَعَرَ بِهِ يَشْعُرُ، عَلِمَ، وأَشْعَرَهُ الأَمْرَ، وأَشْعَرَهُ بِهِ: اَعْلَمَهُ إِيَاه"[1]

الشعر في الاصطلاح الشعر وقد يسمى الكلام المنظوم، من أهم فنون العرب الكلامية، وقد قيل فيه الكثير، قال ابن سلام: "وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون"[2].

ومن أبدع ما روي عن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–أنه قال: "الشعر كلام فحسنه حسن، وقبيحه قبيح"[3]. وروي إن عبد الله بن رواحة قال: إن الشعر"شيء يختلج في صدري فينطق به لساني"[4].وقال الخليل: "هو ما وافق أوزان العرب"[5]. وإلى هذا ذهب جميع القدماء فقالوا إنه لابد للشعر من وزن وقافية، أي أن أركانه أربعة: اللفظ والمعنى والوزن والقافية[6]. وفرقوا بين الكلام الموزون وبين الشعر، فقال ابن سلام: "ليس كل كلام مؤلف معقود شعرا"[7]. وذهب إلى ذلك الجاحظ فقال: إنه ليس كل كلام موزون شعرا، وإنما هو "صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[8].

ولابد فيه من القصد، قال الجاحظ: "لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل (مستفعلن مستفعلن) و(مستفعلن فاعلن). وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا، ولو ان رجلا من الباعة صاح: من يشتري بادِنجان؟" لقد كان تكلم بكلام في وزن (مستفعلن مفعولات) وكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد إلى الشعر؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام وإذا جاء

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة شعر. او أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد القديم، ص263.

[2]– ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص24.

[3]– القيان، رسائل الجاحظ، ج2، ص160. نقلا عن: أحمد مطلوب،

[4]– ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص 278. نقلا عن: أحمد مطلوب،

[5]– العيون الغامزة ص15. نقلا عن: أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد القديم، ص264

[6]– ينظر، نقد الشعر، ص15.عيار الشعر، ص5. العمدة، ج1

[7]– ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص8.

[8]– الجاحظ، الحيوان، ج3، ص132. نقلا عن: أحمد مطلوب، ص262.

بالمقدار الذي يُعلم أنه من نِتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرا"[1]. وهذا لا يعني أن الجاحظ لا يقول بالوزن، فالوزن عنده وعند غيره عمدة الشعر وأظهر سماته[2]

قال ابن سلام: قال ابن عون، عن ابن سيرين، قال: قال عمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"[3]

والشعر صناعة كبقية الصناعات، قال ابن سلام: "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان. من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن، دون المعاينة ممن يبصره. ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم، لا تُعرف جودتهما بلون ولا مسّ ولا طراز ولا وسم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف بهرجها وزائفها وستّوقها ومفرغها"[4].

وقد اختلفوا في نشأته عند العرب، وقالوا أن أول من قال الشعر (آدم عليه السلام) حينما قتل ابنه قابيل أخاه هابيل. ولكن الجاحظ قال: "وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل ربيعة" ثم قال:"فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له–إلى أن جاء الله بالإسلام– خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"[5].

وقال ابن سلام:": "ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قُصّدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف. وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحِمْيَر وتبع"[6].

وقد فصّل ابن قتيبة (276هـ) أنواع الشعر فجعلها أربعة:[7]

1– ضرب حسن لفظه وجاد معناه

2– ضرب حسن لفظه وقصُر معناه

3–ضرب حسن معناه وقصر لفظه

---

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص288–289.نقلا عن احمد مطلوب، ص264.

[2]– البين والتبيين، ج1، ص278.أحمد مطلوب، ص264.

[3]– ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص 24.

[4]– ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص 5. و ابن رشيق: العمدة ج1 ص118.

[5]– الجاحظ، الحيوان، ج1، ص48.

[6]– ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص26.

[7] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء،

4-ضرب قصر لفظه ومعناه.

وقد تناول ابن طباطبا العلوي (322هـ) تعريف الشعر في كتابه (عيار الشعر)، فقال: "إنه كلام منظوم"، ولم يتعرض فيه لذكر القافية.

ثم تلاه قدامة بن جعفر (337هـ) فوضع للشعر تعريفا محددا مفاده: "إن الشعر هو القول، الموزون، المقفى،الدال على معنى، وهو نفس تعريف الشعر عند أفلاطون"

ثم وضع قدامة لكل عنصر من عناصر الشعر الفنية شروطا أوجب تحقيقها:

فالقول هو اللفظ، وقد أوجب فيه أن يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة، ومن عيوب اللفظ أن يكون ملحونا، وجاريا على غير سبيل الإعراب واللغة، وحشيا قائما على المعاظلة.

2- وأوجب في الوزن أن يكون سهل العروض، فيه ترصيع، ومن عيوبه الخروج عن العروض والتخليع.

3-وأوجب في القافية أن تكون عذبة الحروف سلسلة المخرج، فيها تصريع ومن عيوبها الإقواء، والتخميع والإيطاء، والسِناد.

4-والمعاني تقع لأغراض المديح والهجاء والرثاء والتشبيه والوصف والنسيب. ولكل غرض في معانيه حسنات وعيوب. وقد أوجب في ائتلاف اللفظ والوزن أن تكون الأسماء والأفعال تامة مستقيمة، ومن عيوبه: الحشو والتثليم والتذنيب والتغيير، والتفصيل. وأوجب في ائتلاف القافية مع المعنى أن تكون متعلقة بما تقدمها تعلق ملاءمة ونظم، بالتوشيح أو الإيغال. ومن عيوبه أن تكون مستدعاة متكلفة يتعمد فيها السجع دون فائدة للمعنى.

والشعر عند القاضي الجرجاني (366هـ)علم من علوم العرب، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له. ولم يفصل القاضي بين القديم والمحدث، وأشار إلى اختلاف الشعر باختلاف الطبائع " فيرق شعر أحدهم وويصلب شعر لآخر، ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعر منطق غيره، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة". كما التفت إلى أثر التحضر في الشعر، فقال: "ولما ضرب الإسلام بجرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدب والتظرف، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله".

ويقتبس ابن رشيق (456) في كتابه (العمدة في صناعة الشعر ونقده) حد الشعر عن قدامة ، ولكنه يسميه بنية الشعر: "البنية من أربعة أشياء وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية. فهذا هو حد الشعر. لأن من الكلام ما يكون موزونا مقفى وليس بشعر لعد الصنعة. والبنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي و غيره، ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر، والمتزن ما عُرض على الوزن فقبله فكأن الفعل صار له".

ويعرّف المعري (449) الشعر بأنه: "كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط، إن زاد أو نقص أبانه الحسن". فهو يهيم بالوزن أولا، ويقدمه على كل عنصر آخر. والغريزة عنده هي قوة الإحساس التي تميز الزيادة والنقصان. وتتبين قيمة الغريزة مع توفر الوزن في تمييز أبي العلاء في الشعر بين ما هو (نظم) وحسب، لأنه غير موزون، وبين ما هو شعر حقيق بهذا الاسم لتقبل الغريزة له". ومن الغريب ألا يذكر المعري القافية في تعريفه للشعر مع أنه صاحب (لزوم ما لا يلزم)، وأنه وضع كتابا مستقلا في القوافي.

ويتابع حازم القرطاجني (684) القدماء في تعريفهم للشعر، ولكنه يضيف جديدا، فيقول: "الشعر هو الكلام، الموزون، المقفى، من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك. وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإن الاستغراب والعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية، قوي انفعالها وتأثيرها.